Orality in (Nwadr al_cowlaph named Elamal nas bema wake lal Baramika ma bane al abbas) By Alatlidi Reading in the cultural Criticism.

الشفاهية في كتاب نوادر الخلفاء المسمّى إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس للإتليدي _ قراءة في النقد الثقافي _

أ.م.د.مكي محي عيدان نبراس هاشم ياس
nbras_yas@yahoo.com
كلية التربية للعلوم الإنسانية /نقد حديث/ جامعة كربلاء

ملخص البحث

وصفت الثقافة العربية على أنها ثقافة شفاهية . لذلك فأن الوقوف عند الشفاهية بشيء من التفصيل : أسبابها الطبيعية ،وأشكالها الأبجدية منها والمعرفية فضلاً عن آليات تطبيعها من المركز السوسيو ثقافي العربي ....وغيرها ، يعدّ امراً ضروريا لمعالجة هذه الظاهرة والتخلص منها نحو مجتمع مدني /كتابي.

وفي كتاب نوادر الخلفاء المسمى إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس للإتليدي نصوص منقولة بصيغ شفاهية اتصفت بنمطية حتى باتت تشكل ظاهرة يمكن تتبعها وتحليلها ، يقف البحث عند التنميط الكتابي للخلافة في كتاب الإتليدي ؛ اولا عند الكتابة التاريخية مستقصيا ثلاثة مفاهيم لها مستوحاة من الدرس النقدي الحديث الذي أكد أن للكتابة التاريخية حركية دوال مثل أي نص كتابي ، فالنصوص التاريخية ليست حيادية تنقل الذي حدث فعلا إنما هي نصوص تستدعي فكّ التشفير ، ويثير البحث تساؤلا عن الفصل المعنون (الامام احمد ومناقبه رضي الله تعالى عنه) ، إذ ينبّه إلى أن هذا الفصل ربما أضيف إلى الكتاب في وقت لاحق لتأليفه ، لخروج هذا الفصل عن المنهج الذي اتبعه المؤلف في كتابه .

وقدّم البحث أمثلة للتنميط الكتابي للخلافة في كتاب الإتليدي ، والتي اندرجت تحت صيغتي الوثائقية والرواسم ، وقد عمدّ البحث الى التعريف بهذين المفهومين لغةً واصطلاحا ، ليخلص البحث إلى أن الاتليدي في كتابه اتبع التنميط ذاته الذي اتصفت به الثقافة العربية . واتضح ذلك من خلال صيغتي (الوثائقية والرواسم) الشفاهيتين ، التي امتلأت بهما نصوصه المنتقاة من الثراث العربي المدون .

Abstract

The Arab culture was described as an oral culture , therefore the study of oral with some details like natural cause of oral and alphabetical forms of oral …etc , is necessary to investigation this phenomenon ,and to remove it towards a metropolis .

In the book (Nwader Al- cowlaph named elam al nas bema wake maa al Baramika ma bane Al Abbas) by Al atlidi , there are texts in oral forms characterized by stereotype . So it is a phenomenon in book and we can follow and analysis it.

The research study Al Ciladh,s written stereotype . first in historical writing and gives three concepts which are inspired from modern criticism which found that historical writing has codes and these codes give dynamic to text , and the research try to ask the question about the chapter entitled (Imam Ahmad and his good deeds virtues , Allah be pleased with him) this chapter may be added to the book in later , because this chapter doesn't agree with a approach taken by the authored Al Atlidi .

This search presents examples of Al cliaph,s written stereotype and was studied under two shape of oral : documentaries and clichés , before that there was a definition to these shapes as a vocabulary and as a idiomatically at the and we can say this research concludes that Al Atlidi in his book followed the same stereotype which is Arab culture characterized with it , because the two shape of oral : documentaries and clichés filled up the texts which Al Atlidi selected from heritage of Arab cropus .

تعدُّ ثنائية الشفاهية والكتابية من أهم الثنائيات التي تتصارع في أي مجموع بشري فما أن يقترب من أحداهما حتى يبتعد عن الأخرى حتما. ومن الطبيعي في المجتمعات أن تتشكل ثنائيات ويحدث صراع بينها ، والنزعة الإنسانية تتكفل بذلك الأمر ، لكن من غير الطبيعي والمقصود به هنا حال التجمعات الاستبدادية ، أن يجمُد طرفا الثنائيات لتتحول تلك الثنائيات إلى كل دلالي مغلق يهدد المجتمع ويسهم في تآكله من الداخل بفعل طبقة حاكمة من البشر.

ولما تقدم فبالإمكان الكشف عن طرفي الثنائية وجعله معيارا للمدنيّة أو عدمها في قراءة لتراثنا الأدبي شعره ونثره ؛ وهذه الدراسة تقف عند الشفاهية في كتاب نوادر الخلفاء المسمى إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس لمحمد بن دياب الاتليدي ، وقد سكن إقليم المنيه من أعمال صعيد مصر أما زمنيا فلم تذكر له سنة الميلاد والوفاة إلا أن سنة (1100 هـ/ 1789 م) هي السنة التي فرغ من تأليف الكتاب فيها ، وهي الحقبة التي كانت بلاد العرب فيها تحت سيطرة العثمانيين..

الشفاهية

جاء في اللسان مادة شفه شافهه :أدنى شفته من شفته فكلمه ، وكلمه مشافهة ، فالمشافهة المخاطبة من فيك إلى فيه [1] ، فالشفاهية بأول المعنى تحيل إلى الأداء الجسدي حيث أداة النطق والبيان الشفتان مع التأكيد على وجود حيز مادي وجغرافي أي مساحة بين المرسل والمرسل إليه ، و"من فيك إلى فيه "، يمكننا القول إنها شكل من أشكال التواصل بالصوت المنطوق بين طرفين أو أكثر . ومع التطور المادي للتاريخ البشري تطورت طرائق عدة لحفظ هذا الصوت المنطوق ، وتجسيده ملموسا ماديا ، بدءا من ألواح الطين وصولا إلى عصر الإلكترونيك . إن هذه العملية أي _ حفظ الصوت المنطوق _ لها مسميات عدة منها تسجيل اللغة المقروءة أي تقديم اللغة في شكل بصري وتحويل الكلمة إلى تقنية [2].

ومن الجدير بالذكر أنه لا توجد حدود فاصلة قطعية بين وسيط وآخر (بمعنى أن الكلام يمكن أن يدون ويقرأ ، وأن الكتابة يمكن اقتباسها وحكيها {كما هو الكلام}) [3] ؛ أي أن التقنيات المادية لتجسيد الصوت البشري مختلفة ومتصلة وفي تطور مستمر ، وما الأبجدية إلا واحدة منها ، وإن كانت أهمها ، (لقد اتضح أن أكثر تلك التقنيات تأثيرا في السياق التاريخي هي الكتابة باستعمال أبجدية) [4] ، إلا أن الأمر مختلف مع "الشفاهية" بوصفه منتجاً ثقافياً وآلية فكر،إذ هي شكل من أشكال التواصل ويجسدها أي وسيط مادي إلا أنها تعتمد صيغاً معينة [5] .

لذا يمكن دراسة "الشفاهية" في أي نتاج أدبي ، فعلى سبيل المثال أن من أهم صيغ "الشفاهية" النمطية ، وهي تشكل ظاهرة في كتاب الإتليدي .

النمطية

النمط في لسان العرب[6]: الطريقة ...المذهب ... يقال : ألزم هذا النمط أي هذا الطريق . والنمط أيضا : الضرب من الضروب والنوع من الأنواع ، وكأن لهذه الطريقة / النمط معايير خاصة إذا ما وصفت بها جماعة ميزتها عن الأخرى . فالنمط نهج تنهجه جماعة من الناس أمرهم واحد و يقال ليس هذا من ذلك النمط أي من ذلك النوع والضرب ، يقال هذا في المتاع والعلم وغير ذلك ، وعبارة(أمرهم واحد)فيها تناغم في كل شيء قد تصل إلى حد التطابق في الفكر فمما اصطلح عليه حديثا شكل نمطي (stereotype):(التفكير النمطي هو التفكير الذي يتبعه الشخص أو الأشخاص اعتمادا على الأفكار الجاهزة التي يمكن إرجاعها إلى العادات والتقاليد والموروثات الثقافية والدينية ، فهو كناية عن اعتماد نهج معين بشكل ترددي دون الغوص في مبرراته) [7] ، وهذا التطابق والتناغم الفكري في أغلب حالاته لايحدث اعتباطا وإن بدا الأمر كذلك في ظاهره بل هو نتاج تطبيع naturalization بمعنى(إضفاء معنى على العلاقات والصور مهما كانت متباينة أو متعارضة)[8]وأيا كان ما يتم تطبيعه من علامات وصور وشفرات codes (تنتشر بشكل واسع في الثقافة ، ويتلقّنها الناس(...)، بحيث تبدو غير مشيدة ، بل معطاة طبيعيا) [9] فهي فعل قسري / تنميط ، وربما من هنا عرف النمط أدبيا ، بأنه نظام شكلي ، ومحاكاة لمثال معين ، وبعبارات أكثر حده : النمط نمذجة تتوخى ترسيخ شكل معين (سرد أو حبكة أو شخصية) [10].

وقد وجد في تراثنا العربي مؤلفات تمسّك كتابها بفكر شفاهي وأظن أن الاتليدي جسد ذلك الدور حين وضعنا أمام تجميع يمكن أن نستعير توصيف له من ديفيد اولسون و نانسي تورانس بأنه (مستودع كبير للمعلومات الثقافية) [11] وكان بإمكانه أن يتحرر قليلا من سطوة السائد و المهين فالمد الزمني بينه وبين الخلفاء الذين جمع عنهم كبير إلا أنه لم يقل شيئا فلم يفعل إلا أن جمع عنهم فقط وكتب لهم وليس عنهم ذلك لرسم صورة نمطية للخليفة ولتاريخه ،.وسنقف عند دراسة التنميط الثقافي للخلافة في مدونة الإتليدي لمعرفة هل أن الكتابة التاريخية كُتبت بوعي التغير والتبدل عبر الزمن ؟أم هو تاريخ مذهبي كُتب بشفاهية / بمعانٍ مسبقة .

التنميط الكتابي للخلافة

الكتابة التاريخية

أصبح اليوم للكتابة التاريخية مفاهيم عدة، ("اللغة نسق" (...) ومثل هذه النتيجة (...) تناقض لا المفهوم العادي عن تاريخ اللغة فحسب ، بل حتى الأفكار الجارية حول التاريخ بصورة عامة) [12] ، والمرشح الأول للإقصاء من المفاهيم حول الكتابة التاريخية هو أن التاريخ سجل الماضي بوصفه كياناً خارجياً مستقلاً[13] ذلك إن اللغة مادة التاريخ ليست وسيطاً شفافاً ومحايداً وأميناً في نقل الوقائع وهي ليست وسيطا بالأصل أو أداة تسمية لنقل المعنى بل هي "نظام علائقي" فاللغة نظام من العلاقات والاختلافات الثنائية المتعارضة ليست لأجزائها: (هوية/جوهر/وجود) خارجها . فالكلمات إذن توجد شبكة الاختلافات اللامتناهية و المعنى ليس كامنا في الإشارة ذاتها ولا يضاف إليها وإنما هو أمر وظيفي يحد داخل شبكة العلاقات داخل النص نفسه.

و المفهوم الثاني والمرشح للإقصاء والبعد بشدّة هو أن للكتابة التاريخية بنية تزامنية لأننا مع هذا المفهوم نرجع إلى النقطة الأولى التي تم تجاوزها وإقصاؤها وهي رفض أن يكون هناك (وجود يسبق اللغة ويقع خارجها)[14] وكأن الفرق هنا في الإشارة إلى وجود دلالي مسبق(معنى مجرد) وليس وجوداً مادياً مسبقاً (حقائق وأحداث ينقلها المؤرخ).

في مرحلة من المراحل قرأ الدرس الألسني السوسوري قراءة بنيوية قيدت نظام الدلالة تعاملت مع : ("اللغة" بإعتبارها منظومة ساكنة ومغلقة وثابتة وموروثة عن الأجيال السابقة)[15] ومع العلامة على أنها وحدة ذات وجهين متماسكة : "دال ومدلول".معنى ذلك أن ارتباط الدال بمدلول معين :(وجود عالم من المدلولات وبالتالي من المعاني التي توجد في انفصال عن نشاط الدوال (...) إن هذا العالم إذا وجد لابد وأنْ يسبق وجود اللغة ، وأنْ يقع خارج حدودها . ذلك أن كلا من "الدال والمدلول" لا يمكن أن يوجد في استقلال عن الآخر)[16] ، وإن كان التاريخ يعني الوعي بالتغيير عبر الزمن ، فان هذا التحليل التزامني البنيوي على النقيض من التاريخ لـ(أنَّ تقديم البنية على الاستعمال يعجز عن تفسير التغيرات في البنية)[17] و(يتجاهل كيفية انخراط الأصناف في سيرورة تغيرية دائمة)[18] ، يعد هذا من أهم الانتقادات التي وجهت إلى البنيوية في مراحلها الأولى.

و المفهوم الثالث للكتابة التاريخية عدها ("أثرا "من آثار الكتابة [عن الماضي] ، أي نتيجة تولد قصص عديدة تسعى إلى وصفه)[19] إن هذا المفهوم تأتَّى بعد أن (تسببت البنيوية في ولادة ما بعد البنيوية ، (وان ما بعد البنيويين هم بنيويون اكتشفوا فجأة خطأ طرائقهم)[20] ، فأعادوا للغة حيويتها وعدوها منظومة دائمة التبدل (كان سوسير يعرف أن "الدال والمدلول" نظامان منفصلان ، لكنه لم يكن يعرف كيف يمكن أن توجد وحدات المعنى غير الثابتة حين يلتقي النظامان) [21] لذلك : (تناول الدارسون ما بعد البنيويين نصفي العلامة كلا على انفراد بطرق مختلفة) [22] وانصرف الجزء الأكبر من نشاط ما بعد البنيوية إلى متابعة فعالية الدال المتواصلة في تشكيل سلاسل وتيارات متقاطعة من المعنى مع دوال أخرى ودحض المتطلبات الرتيبة للمدلول) [23] فلا حقيقة مادية خارج اللغة لا حقيقة ثابتة حين (يكون للدوال وجود"حرباوي" فتغير ألوانها مع كل سياق جديد) [24] ، مما يمنح النص حركية تقر أن المعنى التاريخي (غير مستقر ،سياقي ،علائقي ،ووقتي) [25].

بالعودة إلى الإتليدي المؤرخ ، كما عرف في الصفحات الأولى من المخطوطة ، نقرأ في كتابته التاريخية زمنا دوريا ،أفقيا ، تعاقبيا في عرض تاريخ سياسي للخلفاء وفصل بعنوان: (الإمام احمد ومناقبه رضي الله تعالى عنه) . وسواء أكتب هذا الفصل بيد المؤرخ الاتليدي أو دُسَّ في متن كتابه فإن من الأفضل الالتفات إليه والاعتراف بمغزى وجوده الخطي وإقراره في المؤلف الذي أغلق بالتحقيق ، ذلك لأن الإتليدي في أكثر من مكان يعلن التزامه بنظام كتابي من ذلك تصريحاته في ذلك أنه يقدم لبعض الحكايا بقوله : حكاية أجنبية عن المقام ، حكاية أخرى أجنبية ، وعندما يوجد قطع كهذا فأنه ينبه القارئ بالعودة إلى المقام ، ومن ذلك قوله بعد أنْ ذكر حكايا العشق: (ونعود إلى الكلام ما وقع في زمان عبد الملك بن مروان) لأن هذه الحكايا لا تقترب من المقام وتكون بعيدة عنه .

إنّ في عنونة الفصل (الإمام احمد ومناقبه رضي الله تعالى عنه) تضيء للقارئ بعدا في أن الكاتب سيلتزم بالثناء والمدح لهذه الشخصية ، و(الطبع الغالب على هذه الكتابات التي تدخل (...) في "أدب المناقب"، هو إبراز مناقب الشخصية التي تعرضت للامتحان والإشادة ، لما تتصف به من خصال ، وفي مقدمتها خصال : الصبر والثبات ...الشيء الذي يدخل في ميدان التاريخ ، أي التاريخ للرجال والحوادث) [26] ، ولعل من غير المبالغة (أن ارتقاء ابن حنبل في سلم الشهرة والرتبة الإسلامية جاء بفعل صلابته الكلامية أكثر من إنتاجه الفقهي) [27] ، لكن وجد في (صلابته الكلامية) هذه أثر غير ايجابي على الكتابة التاريخية ، ينتقد رضوان سليم الفكر الإسلامي الكلامي قائلا : إن (التفكير في مسألة خلق القرآن كان يحجب التفكير في قضية جوهرية وهي "مسألة الزمان") [28] فكان أن (اهتم المتكلمون الأصوليون،بصفات الله من كلام وعلم وقدرة وأهملوا التفكير في حقيقة وجوده) [29] لغرض (نقل التفكير في الزمن إلى التفكير في الماهية) [30] . إن استئصال الزمن من التحليل يعني إنكار التحول والتبدل وإلغاء التغيير مع الوقت ، إنَّه الإصرار على زمن لا تاريخي وبنية لا زمنية ، وآلية الفكر هذه أظنها تقترب إلى الفكر البنيوي التزامني ، مع فارق النوايا .

ذلك لأن البنيويين كان عندهم (طموح علمي للعثور على الشفرات والقوانين والأنظمة التي تختفي تحت جميع الممارسات الاجتماعية والثقافية البشرية) [31] ، وقد نجد في الفكر الأصولي نية غير طيبة تسعى (إلى ترسيخ التقليد ، ذلك إن غايتها تحقيق الطاعة) [32] ؛ أخطر أنواع الطاعة هي الأنصياع لمفاهيم وصيغ جاهزة، أي بمعنى قبول المعنى كمعطى جاهز في بنيته سواء في الكتابة أم في التلقي . وقد أنتجت آلية الفكر هذه عقلية تقليدية تقدم (موارد تاريخية مركبة ، أو محنطة بطريقة لا يمكن معها تطوير الوعي التاريخي أو تراكمه عبر الزمان) [33] .

إنه (جمود متعاظم في ممارسة التاريخ) [34] . يبدو أن هذا الفكر استثمر عند بعض المؤرخين ، بل يرى بعضهم أن (القسم الأكبر من التاريخ الإسلامي غير محايد ،ومضامينه لا تخلو من عناصر مذهبية)[35] ، لذلك أظن أن الاتليدي واحد منهم فقد خضع للفكر نفسه وكتب لمفاهيم جاهزة وبصيغ جاهزة أيضاً . ومن أمثلة التنميط الكتابي للخلافة صيغتي الوثائقية والرواسم.

1- الوثائقية

توجد عدة فروقات بين الشفاهية و الوعي الكتابي ، إذ إن (الكتابة(...)تقسم عملية الفهم إلى قسمين : ذلك القسم الذي يحتفظ به النص المعطى ، وذلك الذي يقدمه القارئ) [36] . بينما نجد الفكر الشفاهي إن لم يلغ ممارسة القراءة فأنه سوف يضيق عليها بأحادية المعنى[37]، مما يعني أنه نص مقروء lisible (كتب بقصد توصيل رسالة محدودة ودقيقة)[38] . معه (يفترض القارئ الساذج حضورا مسبقا لمدلول [مشار اليه] referent خارج العقل يفترض أن الكلمة تمسك به وتمرره من خلال شيء أشبه بالأنبوب المباشر إلى النفس الإنسانية) [39] ، أو في نص مفتوح كما يسميه ايكو لأنه (لا يقبل أي تأويل) [40] بما (يفرض على المؤول دورا من الاستهلاك السلبي)[41] ، فـ (يجعل القارئ قيد دور محدد لا يستطيع تجاوزه) [42] . وسنعرض أدلة تؤكد أن الإتليدي كان شفاهيا ،متعمدا لإنتاج نصوص مقروءة منها:

1- الإتليدي حاول تقديم المرويات على أنها حقائق ثابتة فلا تحتاج إلى قراءة بدءا من سلطة العنونة (الإعلام) . فلا شراكة بين المؤلف والقارئ ، المؤلف حجة ومؤرخ بما عنده من العلم فيصير القارئ عالما بعد جهله [43] ، يستعلم الأمر أو عنه ، يقال اعلمه الخبر أي اطلعه عليه والإعلام عند المحدثين هو أن يعلم الشيخ الطالب إن رواية أمر ما أو سماعه مقتصر عليه وذلك باعتبار الأعلم اسم تفضيل [44] ؛ وكأن الأخير خال تماما من المعلومات فهو لا يشارك بل مستفيد[45] ، مما يسميه ابن خلدون (التبليغ الخبري) [46] ،الذي يتضمن الأخبار الصحيحة والموثوق بها.

2- يذكر الاتليدي في مقدمة كتابه أن عمله هو " الجمع" (اجمع شيئا مما وقع في زمن الخلفاء المتقدمين من بني أمية والخلفاء العباسيين) ، ويظهر في متن الكتاب إحالاته على أمهات الكتب التي اخذ منها مادته . وهذا التصريح والتنفيذ هو منهجية قصدية تؤكد أن الاتليدي يتعامل مع مادة ورقية وهي : كتب ، ونصوص مدونة بتقنية كتابية تسمح بإعادة الفحص والنقد لها.إن (وجود تسجيل مكتوب يمكن أن يسمح للناس بعمل شيء لم يكن بوسعهم فعله من قبل ... من قبيل الاسترجاع / الدراسة، وإعادة التفسير إلى آخر هذه الأمور) [47] ، فالكتابة (من بين سائر وسائط التمثيل كلها في المجال المكاني (...) تعد أكثر تأثيرا وأهمية من الناحية المعرفية ، فبالرغم من كونها مكانية ولا سياقية ، ومفصولة عن الشعور ، إلا أنها تستطيع أيضا إعادة إنتاج الطبيعة الاستطرادية للكلام (...) وتساعد على الاستنتاج وعلى توليد خطاب منطقي)[48] .

إلا أن الاتليدي لم يستثمر هذه التقنية فقد عرض ما جمع عن الخلفاء عرضا وثائقيا و مؤتمنا [49] ، فما دامت (الوثيقة هي الوسيلة الموضوعية) [50] ، المضمونة لعدم وصول الأيادي لها فهي وجود مادي (مدون) توقف معه فعل الإنتاج فحفظت كما هي دون أنْ تمسها يد وجمعت من ذاكرة الكتب (سألني (...) أن أجمع له شيئا مما وقع في زمن الخلفاء)[51] .

هذا فضلا عن أن المرويات كانت بسند وإحالة على أمهات الكتب لأن السند :(هو بمثابة وثيقة (شاهدة) حية ، ناطقة ، معبرة ، لا تساويها وضوحا وبيانا أي شاهدة تاريخية) [52] ، ووجوده في بداية "المرويات" يوحي ببنية معرفية معتمدة ومغلقة [53] ، حيث يصعب نقدها ومن ثم نقد مضمونها وإلا فأن (الحاجة إلى السند ; كقيمة توثقية قد تضاءلت بإثبات الأسانيد الصحيحة ،أو التي يفترض أنها صحيحة ، وفي المؤلفات التاريخية الكثيرة التي كتبت خلال القرون الهجرية الثلاثة الأولى) [54] .أما فيما يخص الإحالة على أمهات الكتب فإنها كانت تعمل (كإشارات انعكاسية ذاتية ، لكي تؤكد للقارئ فيطمئن للمصداقية التاريخية لشاهد ما أو لسلطة حصل الاستشهاد بها) [55] ، لأن عدم ذكر الكتاب أو اسم مؤلفه ينعكس سلبا على مضمونه . وهذه الحالة إن وجدت فسيكون المؤلف حينها (مصدر خطورة ،ويصير أرضا غريبة ،تحار فيها الأقدام ،وتختلط الاتجاهات لغياب نقطة مرجعية مضمونة)[56] .

إن الوقوف عند الجمع الوثائقي لا غير (يؤدي إلى نوع من إضفاء قوة سحرية على السجل فيتحول إلى بديل عن الماضي) [57] ، بمعنى (أن التاريخ يمتلك مكونا حرفيا أو واقعيا)[58] أي (تمثلا موضوعيا للإحداث الماضية ، لا كتمثيل تأويلي لتلك الأحداث الماضية التي تعطي معنى (كوقائع تاريخية) بواسطة خطاب المؤرخ ذاته)[59] ، إنه كتاب (عن أحداث ماضية لا وجود لها .. إلا في الحقائق الموثقة) [60] ؛ ينتجها الذي يحسن الظن بالسلف الناقل ،كما فعل الاتليدي معلنا عن نواياه تلك في تقديمه لإحدى متونه المنتقاة على أنها : (مما وقع في بطون الدفاتر ، واستحسنته عيون البصائر ونقلته الأصاغر عن الأكابر)[61] ، ولكل ما تقدم فأنه بالإمكان تأكيد رغبة الاتليدي في جمع نصوص تاريخية وعدم التورط الكتابي[62] complicityمعها هو توجه أكثر من مقبول في ثقافة نقلية [63] ، تعد التاريخ مستودعاً للحقيقة [64] ، والاتليدي بخضوعه لهذه السنّة الثقافية ، يكون كاتباً حجَة كما وصف في صفحات الكتاب الأولى وكل ما في متنه موثوق به ومعتمد.

2- الرواسم:

في متن الاتليدي يمكن تتبع نمطي الوصف description والتعليق commentary[65]، شاخصتين في متن الإتليدي،بدءا من ترسيم شخص الخليفة، ومن ذلك [66] :

1- (أمير المؤمنين في عزته وشرفه وقصوره ،وسلطانه وأمواله) .

2- (كان رضي الله عنه عفيفا ، زاهدا ، ناسكا ، عابدا ، مؤمنا ، تقيا ، صادقا) .

3- كان يختم القرآن في ثلاث ، وكان يختم في رمضان سبع عشرة ختمة).

إن هذه الصفات الدنيوية منها والدينية تصلح لجميع الخلفاء حتى إن حاولنا إلصاقها بخليفة محدد، اعتمادا على انطباعات كونتها المرويات التاريخية ربما لن ينجح الأمر، إذ إن الصفة الأولى تعد : صفة مادية يتقدم لها خلفاء بني العباس على خلفاء بني أمية ، و أولى بني العباس بهذا الترف هو "الرشيد" ، ذلك على أقرب تخمين فهذا الخليفة الذي انيطت به "ألف ليلة وليلة" ، لكن هذه الصفة ،أيضاً،يمكن أن يتصف بها الخليفة الأموي "معاوية" ! .

بينما يستحضر الوصفان الدينيان الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز الذي عرف بذلك وإن نجح الأمر في الصفة الأولى إلا أن الصفة الثانية كانت للوليد بن عبد الملك بن مروان علما أن الوليد لطالما عرف بصفات دنيوية غير هذه .إن الأمر نفسه يحدث إن حاولنا الوصول إلى هوية الوالي الظالم من صفاته ،فلنجرب الإحالة مع الجملتين[67] :

1- (ظلمه ، وفسقه ، وجوره ، وبعده من الحق ، وقربه إلى الباطل .. حيث يسومهم الخسف ويطؤهم بالعسف).

2- (يحصدنا حصد السنبل ، ويدرسنا درس العصفر ، ويسومنا الخسف ، ويسلبنا الحيل).

بالتأكيد المرشح الأول لتسمية الوالي الظالم هو "الحجاج الثقفي" ، لكن هل بالإمكان التمييز بين الجملتين ؟ حيث أيهما للحجاج وأيهما لأبن أرطاة؟!

إنها صفات عامة من الممكن أن تنطبق عليهما ، وعلى غيرهما من الولاة الظالمين ، لأنها (لا تقدم إلينا مفتاح شخصية)[68] بعينها . مما يجعلنا نجد كل من حول الخليفة ، وما دون الخليفة أيضا في "نوادر الخلفاء" بصفات عامة لا تميز أحدهم عن الآخر ومن ذلك[69] :

- (رجلا بليغا حسن المحاضرة) .
- (ما رأيت رجلا أثبت جنانا ولا أحسن معرفة ولا أظهر صحبة) .
- (كان له رؤية وجمال ومروءة ظاهرة) .
- (ذا ملاحة وعلم وحلم وجلالة قدر وفخامة ذكروصيانة وديانة) .
- (لا تقع العيون على أحسن منه) .
- (له جاه وجمال ..وعليه مهابة ولطف) .
- (قد فاق أهل زمانه في الأدب والبيان ، والفصاحة باللسان ، ناقدا في صناعته ،حافظا للأقدار، راوياً للإشعار ، خبيرا بسير الملوك في الأيام السالفة ،بصيرا بالبحث عن أمورهم في الأيام الآنفة ، حاذقا في التصنيف ، فائقا في التأليف ، صبيح الوجه ، مقبول المشاهد وحلو الشمائل) .
- (لم تر عين أحسن منها حسنا وجمالا) .
- (لم ير أحسن منها ، ولا مثلها في الحسن والجمال والقد والاعتدال) .
- (جوار نهد أبكار ، كأنهن الأقمار) .
- (أسفرت عن وجه ، كأنه البدر) .
- (كأنها قضيب بان) .
- (نسوة يتهادين كالأقمار ..وفي وسطهن ..جارية بديعة الجمال ..كاملة الملاحة) .
- (كانت بكراً ناهدا ذات حسن وجمال وقد واعتدال) .
- (كانت من أحسن النساء وجهاً وأطيبهن غناء) .
- (رأيتها أحسن الناس وجها وأكملهم قدا وشكلا وظرفا ،وأكثرهم مجونا) .
- فلما نظرت إلى الجارية رأيتها أحسن الناس وجها،وأكملهم قدا وشكلا وظرفا، وأكثرهم مجونا .
- فإذا بجارية كأنها قضيب ينثني ، واسعة العينين ،زجاء الحاجبين ، مفتوحة الجبين .
- جسدها ..كأنه عمود مرمر.
- كأنهن الأقمار.

إنها صيغ مديح تنطبق على الجميع وبصعوبة نهتدي إلى شخصية معينة من هذه الأوصاف ثابتة الصياغة . إن هذه الظاهرة تتغلغل في الأمكنة أيضا ، فكم من خليفة له أن يجلس في (إيوان مبلط بالرخام الأحمر ..مفروش بالديباج الأخضر .. في وسط بستان ملتف قد أثمر وأينع .. وعلى رأسه ، وصائف .. كل واحدة منهن أحسن من صاحبتها ، وقد غابت الشمس ، وغنت الأطيار فتجاوبت وصفقت الرياح على الأشجار (فتمايلت)[70]؟! حيث توضع بين يديه مائدة (عليها من ألوان الطعام ما درج وتطاير في الأسحار، وتناكح في الأوكار من قطا ،وسمان، وأفراخ حمام، وبط وسمن، ودجاج محمر)[71] ... ومخدته (من الديباج الأحمر المزركش بالذهب محشوة بريش النعام)[72]... وعطاياه (عشرة أفراس بسروجها ، ولجامها وعشرة أبغال بالآتها وعشر بدر ، وعشرة الآف دينار وعشرة مماليك بدوابهم)[73] ، ويمكن تسمية هذه العبارات والجمل "بالرواسم" .

إذ إن "الرواسم" في اللغة : العلامة ،جاء في اللسان (إن عليه لروسما ..إي علامة حسن أو قبح)[74] ، والرواسم الكلائش clichés(العبارات المألوفة ...ما تداولته الأقلام) [75] ، وهي (كلمة فرنسية تعني الرواسم أو صيغة مبتذلة ، وهي عبارة شائعة فقدت من فرط الاستعمال والتداول كثيرا من حيويتها وقدرتها على الإثارة)[76] .

واستنادا على ما تقدم يمكن أن تُعد الرواسم ظاهرة في مدونة الاتليدي .

إنَ(مسألة الانتظام وحتى الإصرار في استخدام أسلوب ما له ، على ما يبدو وظيفة رمزية)[77] فبدت "نوادر الخلفاء" نصا شديد التشفير يصدق عليه وصف السيميائيين بأنه (يتبع تركيبة متوقعة جدا) [78] وهي حيادية أيضاً[79] ، لأنها بصيغتها النغمية الموقّعة وبتراكمها بالعطف بدلا من تداخلها تعد من (التنميط الأسلوبي الذي يسهل التذكر) [80] ، أي أنها ستكون جاهزة متى احتيج إليها (إن وظيفة تلك النعوت والعبارات الصياغية تتمثل في المساعدة في عملية الارتجال)[81] ، حيث يبدو العمل الكتابي بها تجميعا من ذاكرة شفاهية وليست نشاطا عقليا كتابيا (أسلوب تجميعي في مقابل التحليلي (...) وترتبط سمة التجميعية ارتباطا وثيقا بالاعتماد على الصيغ)[82] إنها عملية إنتاج نص كلاسيكي (أقل المصادر صراحة) [83] ، (غير أصيل شأنه شأن النص الشعبي (...) محكوم (...) بالآراء السائدة والإيماءات الصياغية) [84] ، وهو أداة الثقافة الرسمية official culture في التعبير (عن المؤسسات الثقافية كما تمثلها السلطات السياسية) [85] ، وبذلك يكون الإتليدي قد انتقى من نصوص كهذه تنقل عن العظماء/الخلفاء وغيرهم تاريخا سياسيا مذهبيا [86] ؛ بمفاهيم مسبقة ومعان جاهزة عن الماضي و (أسبقية المعنى هنا لا تخدم

الوعي الكتابي ، إن الأحداث الماضية تعطي معنى ، ولا توهب وجودا) [87] . ذلك أنها لغة (اصطناعية ومراقبة) [88] ، تعمل بالضد من الوعي الكتابي وكأنها تقول (للقارئ بأن عليه ألا يخطئ الغرض الذي يخدمه النص) [89] .

يمككنا القول إن الإتليدي نقل التنميط الذي تجسد في مراحل مختلفة من تاريخ الخلافة في الواقع الثقافي العربي . ولم يستطع الخروج عنه ، فكان نص الإتليدي منمطاً من خلال الصيغ الشفاهية وهذا كان من أهم تجليات فكرة الامتثال في نص الإتليدي ،فمثلما امتثل هو لرغبة الخليفة في كتابة الكتاب ،فأنه امتثل لنظام الصيغ الشفاهية أيضاً حين أنتقى نصوصاً مليئة بها .

المصادر

(1) لسان العرب : مادة (شفه) .
(2) ينظر: مبادئ الأسلوبيات العامة ، بيار لوتوما ، تر: محمد الزكراوي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت / لبنان ، ط1 ، 2011 :99.
(3) الكتابية والشفاهية ، ديفيد اولسون و نانسي تورانس ، تر: صبري محمد حسن ، والترج .اونج ، تر: حسن البنا عز الدين ، سلسلة عالم المعرفة ، 182. الكويت ، 1994 :295 .
(4) الكتابية والشفاهية :326.
(5) م.ن. : 64 .
* السياقية : ستكون محور البحث في الفصل الثاني .
(6) لسان العرب : مادة (نمط).
(7) علم دلالة الأنموذج الفئات والمعنى المعجمي ، جورج كليبر ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت / لبنان ، ط1 ، 2013: 291
(8) سياسة ما بعد الحداثة ، ليندا هتشيون ، تر: حيدر حاج إسماعيل ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت / لبنان ، ط1 ، 2009 : 75.
(9) أسس السيمائية ، دانيال تشاندلر ، تر: طلال وهبه ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط1 ، 2008: 439.
(10) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، سعيد علوش ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت/لبنان ، ط1 ، 1985 : 221.
(11) الكتابية والشفاهية ، ديفيد اولسون ونانسي تورانس : 53-54 .
(12) علم الأناسة التاريخ والثقافة والفلسفة ، كريستوف فولف ، نقل: البروفيسور ابو يعرب المرزوقي ، الدار المتوسطية للنشر ، ط1 ، 2009 :265.
(13) ما بعد الحداثية والفنون الأدائية ، نك كاي ، تر: نهاد صليحة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، ط2 ، 1999 :26.
(14) أسس السيميائية ، دانيال تشاندلر:19.
(15) م.ن. :141.
(16) ما بعد الحداثية والفنون الأدائية ، نك كاي :19.
(17) أسس السيميائية ، دانيال تشاندلر :40.
(18) م.ن. :268.
(19) ما بعد الحدثية والفنون الأدائية ، نك كاي :26.
(20) النظرية الأدبية المعاصرة ، رامان سلون ، تر: سعيد الغانمي ، دار الفارس ، ط1 ، 1996 :110.
(21) م . ن : 11.
(22) م.ن. :112.
(23) م.ن. :112.
(24) م.ن. :112.
(25) سياسة ما بعد الحداثة ، ليندا هتشيون ، تر: حيدر حاج اسماعيل ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت / لبنان ، ط1 ، 2009 :166.
(26) المثقفون في الحضارة الإسلامية، محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد ، محمد عابد الجابري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت / لبنان ، ط3 ، 2008 :65-66.
(27) علم الكلام والتأريخ (إشكالية العقيدة في الكتابة التاريخية الاسلامية) ، حسن سلهب ، مركز الحضارة انتمية الفكر الإسلامي ، سلسلة الدراسات الحضارية ، بيروت ، ط1 ، 2011: 290
(28) نظام الزمان العربي - دراسة في التاريخيات العربية _الإسلامية ، رضوان سليم ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت / لبنان ، 2006 :145.
(29) م.ن. :147.
(30) م.ن :147.
(31) النظرية الأدبية المعاصرة ، رامان سلون ، رامان سلون ، تر: سعيد الغانمي ، دار الفارس ، ط1 ، 1996 :105
(32) نظام الزمان العربي - دراسة في التاريخيات العربية _الإسلامية ، رضوان سليم :131.

(33) علم الكلام والتأريخ (إشكالية العقيدة في الكتابة التاريخية الإسلامية) ، حسن سلهب ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي ، سلسلة الدراسات الحضارية ، بيروت ، ط1 ، 2011 :70.
(34) نظام الزمان العربي - دراسة في التاريخيات العربية _الإسلامية ، رضوان سليم :148.
(35) علم الكلام والتأريخ (إشكالية العقيدة في الكتابة التاريخية الإسلامية) ، حسن سلهب :41.
*نمط القيادة الملهمة (الكاريزما) نمط من أنماط القيادة السياسية العربية : 109
ينظر : النمط الزعامي أو "النمط النبوي" أو النمط الكاريزمي النمط النبوي (الكاريزمي ، الزعامي) .
(36) الشفاهية والكتابية ، والترج . اونج :282.
(37) م.ن. :271.
(38) دليل الناقد الأدبي ، ميجان الدويلي و سعد البازعي ، المركز القومي العربي ، الدار البيضاء / المغرب ، ط3 ، 2002 :247.
(39) الشفاهية والكتابية ، والترج .اونج ، تر: حسن البنا عز الدين ، سلسلة عالم المعرفة ، 182. الكويت ، 1994 :233
(40) دليل الناقد الأدبي ، ميجان الدويلي وسعد البازعي :273.
(41) السيمياء والتأويل ، روبرت شولز ، تر: سعيد الغانمي ، المؤسسة العربية ، ط1 ، 1994 :37.
(42) دليل الناقد الأدبي ، ميجان الدويلي وسعد البازعي :273.
(43) ينظر : لسان العرب: مادة (علم) ، العلم: نقيض الجهل.
(44) محيط المحيط ،البستاني ،38-39 ، وينظر: لسان العرب : مادة (علم).
(45) التداولية عند العلماء العرب - دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، مسعود صحراوي ، دار الطليعة ، بيروت ، ط1 ، 2005 : 51.
(46) مقدمة ابن خلدون ، ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، تقديم : د. محمد الأسكنراني ، دار الكتاب العربي ، بيروت / لبنان ، 2011 :35.
(47) الكتابية والشفاهية ، ديفيد اولسون ونانسي تورانس :19.
(48) م.ن. :326.
(49) لسان العرب : مادة (وثق) :وثاقة وثقه ائتمنه،الوثيقة في الأمر إحكامه ،والأخذ بالثقة والجمع الوثائق...
(50) مفهوم التاريخ الألفاظ والمذاهب ، عبد الله العروي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء / المغرب ، ط4 ، 2005 :260.
(51) نوادر الخلفاء المسمى إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس ، محمد بن دياب الاتليدي ، تحقيق: ايمن عبد الجابر البحيري، دار الآفاق العربية ، د0م ، ط1، 1998: 15
(52) مفهوم التاريخ الألفاظ والمذاهب ، عبد الله العروي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء / المغرب ، ط4 ، 2005: 233.
(53) لسان العرب : مادة (سند) : كل شيء أسندت إليه شيئا ،فهو سند وفلان سند أي معتمد.
(54) دراسات في فلسفة التاريخ النقدية ، جميل موسى النجار ، د0ن ، بغداد ، ط1 ، 2004 :108.
(55) سياسة ما بعد الحداثة ، ليندا هتشيون :192.
(56) الكتابة والتناسخ (مفهوم المؤلف في الثقافة العربية) ، عبد الفتاح كيليطو ، تر: عبد السلام بن عبد العالي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء / المغرب ، ط1 ، 1985 :75.
(57) سياسة ما بعد الحداثة ، ليندا هتشيون : السجل (register):استعمال مميز للغة كي يؤدي وظيفة تواصلية معينه في نوع محدد من الأوضاع : 195.
(58) موسوعة النظرية الثقافية – المفاهيم والمصطلحات الاساسية ، اندرو ادجار وبيتر سيد جويك ، – المفاهيم والمصطلحات الأساسية ، اندرو ادجار وبيتر سيد جويك ، تر: هناء الجوهري ، المركز القومي للترجمة ،القاهرة ، ط1 ، 2009. :145.
(59) سياسة ما بعد الحداثة ، ليندا هتشيون :176.
(60) موسوعة النظرية الثقافية – المفاهيم والمصطلحات الاساسية ، اندرو ادجار وبيتر سيد جويك :145.
(61) نوادر الخلفاء المسمى أعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس ، محمد بن دياب الاتليدي : يذم ابن خلدون هذه الكتابة (كثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم على مجرد النقل) مقدمة ابن خلدون ، ابن خلدون : المقدمة :13.
(62) سياسة ما بعد الحداثة ، ليندا هتشيون:التورط بمعنى الاشتراك في الأحداث والوقائع ووصفها من الداخل :16 .
(63) ذلك أن الكتابة التاريخية في بداياتها كانت باليات العلوم الدينية ،حتى عدها البعض فرعا مساندا لها .
ينظر : تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول ،شوقي ضيف :125، تاريخ الأدب العربي ،كارل بروكمان /3-4، مج2: 7 ، دراسات في فلسفة التاريخ النقدية ، جميل موسى النجار ، د0ن ، بغداد ، ط1 ، 2004: 113.
(64) دراسات في فلسفة التاريخ النقدية ، جميل موسى النجار:109، يقول سفيان الثوري (ت 161ه) ، وهو من أشهر محدثي القرن الثاني الهجري ،" لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ) واجد ابن خلدون تحرر من هذه المقولة حين عد التاريخ فناً.

(65) علم السرد مدخل إلى نظرية السرد ، يان مانفريد ، تر: اماني ابو رحمة ، بغداد ، 2009 . الجمل الوصفية نمطياً تكون إسنادية على الأفعال الإخبارية (الجامدة التي لا تدل على حدث) مثل فعل يكون و يملك (كان شعرها ابيض ، لا يملك أصدقاء أو أقارب) :161-162 .
(66) نوادر الخلفاء المسمى إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس ، محمد بن دياب الاتليدي :44، 99 ، 88 .
(67) نوادر الخلفاء المسمى إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس ، محمد بن دياب الاتليدي :73، 52.
(68) حضارة العرب ، غتساف لوبون ، تر:عادل زعيتر ، الهيئة المصرية العامة للكتب / مصر ، 2012 :354.
(69) نوادر الخلفاء المسمى إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس ، محمد بن دياب الاتليدي :119، 135، 138، 237، 241، 284.
(70) نوادر الخلفاء المسمى إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس ، محمد بن دياب الاتليدي .
(71) م.ن. :222.
(72) نوادر الخلفاء المسمى إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس ، محمد بن دياب الاتليدي:174.
(73) م.ن. :294.
(74) ينظر : لسان العرب : مادة (رسم).
(75) فساد الصورة في شعر باسط بن حسن ، العادل خضر ، 2008/2/20: www.alawan.orgwww.alawan.org.
(76) الكليشة ، www.wikipedia.org.cliche.
(77) النقد اللساني ، روجر فاولر ، تر:عفاف البطانية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت / لبنان ، ط1 ، 2012 :418.
(78) أسس السيميائية ، دانيال تشاندلر:173.
(79) ينظر : م.ن. :356.
(80) الشفاهية والكتابية ، والترج اونج : 178.
(81) الكتابية والشفاهية ، ديفيد اولسون ونانسي تورانس:252.
(82) الشفاهية والكتابية ، والتر.ج اونج :136.
(83) ما التاريخ الأن؟ ، ديفيد كانادين ، ديفيد كانادين ، تر: قاسم عبده قاسم ، المشروع القومي للترجمة ، مصر ، ط1 ، 2006. 150:
(84) السيمياء والتاؤيل ، روبرت شولز:36.
(85) الأنثروبولوجيا التاريخية – الأسس والمجالات في ضوء مدرسة الحوليات الفرنسية ، جعفر نصر نجم ، دار اوما للطباعة والنشر ، العراق/ بغداد ، ط1 ، 2013 :168.
(86) ينظر : نظام الزمان العربي - دراسة في التاريخيات العربية _الإسلامية ، رضوان سليم .
(87) سياسة ما بعد الحداثة ، ليندا هتشيون :188.
(88) المعنى في علم المصطلحات ، هنري بيجوان وفيليب تواورن ، هنري بيجوان وفيليب تواورن ، تر:ريتا خاطر ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت/لبنان ، 2009 :279.
(89) النقد اللساني ، روجر فاولر :418.